

البداية والنهاية

قد تفاني فيه الناس ولما سقط البعير إلى الأرض انهزم من حوله من الناس وحمل هودج عائشة وأنه لكالقفذ من السهام ونادى منادى علي في الناس أنه لا يتبع مدبر ولا يذف على جريح ولا يدخلوا الدور وأمر على نفرا أن يحملوا الهودج من بين القتلى وأمر محمد بن أبي بكر وعمارا أن يضربا عليها قبة وجاء إليها أخوها محمد فسألها هل وصل إليك شيء من الجراج فقالت لا وما أنت ذاك يا ابن الخثعمية وسلم عليها عمار فقال كيف أنت يا أم فقالت ليس لك بأم قال بلى وإن كرهت وجاء إليها علي بن أبي طالب أمير المؤمنين مسلما فقال كيف أنت يا أمه قالت بخير فقال يغفر الله لك وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين Bها ويقال إن أعين بن ضبيعة المجاشعي اطلع في الهودج فقالت إليك لعنك الله فقال وا ما أرى إلا حميراء فقالت هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمى عريانا في خربة من خرابات الأزدي فلما كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة ومعها أخوها محمد بن أبي بكر فنزلت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي وهي أعظم دار بالبصرة على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار وهي أم طلحة الطلحات عبد الله بن خلف وتسلب الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة وقد طاف على بين القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحم عليه ويقول يعز علي أن أرى قريشا صرعى وقد مر على ما ذكر على طلحة بن عبيد الله وهو مقتول فقال لهفي عليك يا أبا محمد إنا والله إليه راجعون والله لقد كنت كما قال الشاعر ... فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وأقام علي بظاهر البصرة ثلاثا ثم صلى على القتلى من الفريقين وخص قريشا بصلاة من بينهم ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة فمن عرف شيئا هو لأهلهم فليأخذه إلا سلاحا كان في الخزائن عليه سمة السلطان وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم وقد سأل بعض أصحاب علي عليا أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير فأبى عليه فطعن فيه السبائية وقالوا كيف يحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم فبلغ ذلك عليا فقال أياكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه فسكت القوم ولهذا لما دخل البصرة فض في أصحابه أموال بيت المال فنال كل رجل منهم خمسمائة وقال لكم مثلها من الشام فتكلم فيه السبائية أيضا ونالوا منه من وراء وراء